متحف الكلام

إطلاق سراح الجملة العربية

إن ممارسة القراءة في شذرات "محيي الدين بن عربي" باعتباره مؤلفاً نظامياً، ستعني وجود فرصتين لنصه، الأولى: تحريره من هالات المريدين ووضعه بين أيدي القراء وهو مطلق السراح، والأخرى: تأجيل الإطار الاصطلاحي للنص وتشجيع قراءة متفاوتة

-من حيث التأويل- مع بنية الكتابة المرجعية، بل هي اكثر تضارباً مع تلك البنية، فالمفردة التي يميزها مرجع محدد تبقى مترددة على وسط معهود من التراكيب المتعارف عليها.

عبد الرحمن طهمازي

من هذا المدخل البسيط، تكون القراءة في جدال مع النص وحوله وفيه، وفي حالة النصوص التي ستمر في هذه الملاحظات، فإن الاختيار قد كسر نسق الدلالات بالنسبة لقراءة تطمع في اكتساب النص أو تأمين معناه المستقل، ان "ابن عربي" نفسه كان يتصرف مع لغته واحلامه التعادية بمثل ما وصفناه، وبشكل خاص بصدد النصوص التي يرصع بها تاليفه، مثل الآية والحديث والامثال والأشعار، فهو يبسط أوجه النص احياناً ويتحرر من الالتزامات الاصطلاحية، ويظهر هذا حين تنصرف كتابته إلى الطابع الإنساني للعاطفة والمعرفة، ومحاولة رفعهما إلى المستوى اللطيف للوجود، ذلك المستوى المجازي الذي لا تضيع الحقيقة فيه. في نصوص "ابن عربي" تيارات ووثبات أسلوبية- "كل استقامة في الاعوجاج لا يعول عليها"، تهدأ في نصوص متراقصة تقريباً "الفصل إذا لم يكن مشهوداً في عين الوصل لا يعول عليه".

"كل جمع لا يعقل مع فرق من حال وجوده لا يعول عليه، وهو جهل".

"كل طمأنينة يسكن القلب بها لا يعول عليها".

وفيها ايضا شيء من تناظر ورتابة:

"الخاطر الثاني فما زاد لا يعول عليه".

"الوارد لتنتظر لا يعول عليه".

وفيها التفات نص إلى آخر يتممه:

"التجلي التكرر في الصورة الواحدة لا يعول عليه".

"المزيد من الحال الذي لا ينتج علماً لا يعول عليه".

او ينقضه ظاهرياً:

"خرق العادة إذا لم يرجع عادة لا يعول عليه".

"أخرق العادة في أخلاقك تخرق لك العادة".

وعلى هذا النحو وغيره تمتد النصوص وتتقطع وتعتدل او يضيع الدليل:

"العالم والإنسان توأمان فاعرف أباك وامك"

انما مع احلام ما ان تبدأ بالتفكير حتى تنال يقظتها لحالة:

"كل صحو يكون عن سكر لا يعول عليه".

"كل سكر لا يكون عن شرب لا يعول عليه".

"كل حب يعرف سببه فيكون من الأسباب التي تنقطع لا يعول عليه"

"كل حب لا يتعلق بنفسه وهو المسمى حب لحب لا يعول عليه"

"كل حب تبقى في صاحبه فضلة طبيعية لا يعول عليه"

وليس هذا بعيداً عن تمثيلات الوجدان كما عاشها أبو بكر محمد بن علي محيي الدين الحاتمي الطائي الاندلسي (560-643 هـ- 1165- 1240م) بل هو في صلب وقائع الحياة التي تشردت فيه مع شوقه الثابرة التي درجها على عدم الهدوء عند اللقاء.

هكذا تجربته في الثامنة والثلاثين من عمره مع الفتاة النظام بنت مكين الاصفهاني التي ظل الحب يسوقه فيها من مكة إلى دمشق إلى بغداد إلى مكة، "كل شوق يسكن بالتقاء لا يعول عليه"

"كل محب مشتاق ولو كان موصولا".

في النصوص التي لم ينتجها عصرنا، حتى وان استعملناها لأغراض تتماشى مع متطلباتنا، تكون الأولوية للتفسير ثم تأتي الدلالة، وهذا يعني اننا نقرأ النص مفسرين تفسيراً أعاماً وخاصاً، نعرف لغته ومعناه المباشر، او المعنى الذي نراه مباشراً، وننتقل بعد ذلك لتمثالة مبررة، بسبب ما سبق من تفسير، إلى دلالة النص او المعنى الذي نعطيه نحن اننا "تبنيت" الدلالة من اجل التفسير الذي ادعينا اول الأمر انه من اجل النص، ولكن التفسير والدلالة -وهما عملان متفاوتان- ليس هدفهما النص بشكل مباشر ولا يعتبرانه كافياً، لأنهما سيستعملان ما يشاءان من العلومات والأفكار والمعطيات النصية إلى ان يستقر استقراراً نسبياً، لأن القراءة هي تقدير تقريبي.

وفي خضم هذا العمل فإن التفسير سيواصل إعلان موغاته، وربما كرر ذلك، لتقليل الالتباس اللفظي وكفالة المعنى وعدم تآكل النص، وبعد كل شيء سيذهب هذا التفسير إلى الدلالة، ولا حيلة له من مصير كهذا، «فعلى نحو من الانحاء، ينتمي التفسير إلى تدريب عقلاني لفك إشكالات النص الداخلية، حتى يكون هذا الأخير صالحاً بدرجة من الدرجات للتداول، اما الدلالة فليست لها دائماً أهداف واقعة في داخل إشكالات النص، ولا يقوم بتعيينها جميع المفسرين، إذ قد لا يرونها ضرورية التعيين.

والحقيقة التي ينبغي ان تقال قبل أية آلة هي: ان التفسير الذي حدد هدفه في النص، وحصر وسائله، سينحرف عن النص إذا انشغل بتوليد تفسيرات متتالية، وسيضيع هدفه، وآنذاك تكون الدلالة اكثر توفيقاً مع النص الذي نشأت حوله عقيدة مفادها: انه محتاج إلى التفسير أو تعيين الدلالة، ولكن ما الذي سيحدث لو ان التفسير ظل ينتج التفسيرات؟

سنبحث إذن عن النص المستقل من جديد، هكذا لا ينجو من شأر التفسيرات أو عقم الأمانة التاقينية، كلما تداولناه ضمن امبراطورية الثقافة المعاصرة او ضمن اسطورية الماضي، حيث يزدوج النص ولكن من اجل ان ينحسر في شاهد جاهز لا غير.

ان الدلالة التي تقتصد في التفسيرات وتعمد إلى النص قبل اجتماع الهالات عليه، ستعين طريقنا نحوه ومن خلاله، فهي تضع عوامل المشاركة والاختلاف وما هو غير معدود فيهما في مستوى النص، وآنذاك سنفهم التفسير وصحته اثناء فقهنا النصي الذي تنفرد اللغة بتقريره، إذ يجب إضافة اللغوي إلى منطلقاته ومعطياته غير اللغوية ايضاً حتى نعرف الدلالة وحركتها اما التفسيرات فستكون ذات فائدة خارج حدود النص الذي تفرغت له الدلالة، وعمل الدلالة في أحسن أحواله هو، قابلية النص على العمل فينا وما نتوقعه من آثار تتلقى.

في نص مجاور لهذه الملاحظات يقرر "ابن عربي" ان "السماع إذا تقيد لا يعول عليه" ويقدم لنا بعد ذلك أساساً من الأسس التي لاحظناها" السماع إذا لم يوجد في الإيقاع وفي غير الإيقاع لا يعول عليه".

في النصوص حيرة وشبهات، انها لا تحمل ظرفها دائماً، وليس هناك من يدعي قدرته على تسلم التلميحات الضمنية على طول الخط، هناك الحقائق والمجازات، المعنى ومعنى المعنى، وإذا لم يكن هذا موجوداً معاً، فما الذي يوجد حقاً؟

في الثقافة الإسلامية، كما في الثقافات التي جمعت عدداً متنوعاً من قواعد وقوالب المماثلة والتقاضي، اثيرت دائماً وتثار توجيهات متابينة حول النصوص، بحيث صار الدفاع عن التوجيهات بمثابة تاريخ للنص ايضاً، وبعض منتجي النصوص حين اتركوا ما حاق بنصوصهم اثيروا إلى حماية استقلالها وقد فعل "ابن عربي" ذلك فشرح ديوانه "ترجمان الأشواق" إذ رأى ما يمكن ان يقود إليه التفسير الغريب الذي وجه به شعره، هذا الشرح نفسه سيكون حافزاً إلى تفسير له، هذا الإيقاع من الاستطرادات هو شيمة التفسير الأولي، ولكننا إذا بحثنا عن الدلالة فلن يكون النص عصياً، ولا بد من تحديد اتجاهات المعنى والغزى، موضوع الكلام ومضمونه، فالكلمة قد تطلب معناها خارج النص، وسيأتي مع مجيء الدلالة كما ان الحرف يلزمه رمزه، وكذلك الفصول والأيام والأعداد وهكذا سيكون للمعنى اشتقاقه المناسب. وعلى هذا إذا افتحنا ذوقنا للنص "الصوفي" ولم نغرقه بتاريخ متزايد من المعاني، فإنه سيلبي حاجة من حاجات القراءة (لقد أعطى ابن عربي ما لا يقل عن اثنين وعشرين مصطلحاً ليقوم بتعريف نظرية الكلمة). اما التفسير، في حالة نصوص كهذه، فسيعمل على إباحة النص، ولن يكون لهذا الفائدة إذا اضاع النص في ذاكرة التفسيرات، ان اشياء اكثيرة لن يقوى التفسير على تناولها، وأهمها بنية النص، وهذا ما يجعلنا متشككين بالتفسيرات قياساً بكون النصوص قادرة على تجاوز ما يتعهدها من تفسيرات مرافقة.

ان مما يميز نصوص "ابن عربي" انها تساعدنا على مراجعة سيرة النص ومفاصل نموه (وهنا يكون لعبارة: متحف الكلام معنى) وعلى الخصوص في الشذرات التي يمكن اعتبارها تكميلية، يقول على سبيل المثال "المعرفة إذا لم تتنوع لا يعول عليها" ثم يتحدد التنوع ويتجرد: "المعرفة إذا لم تتنوع مع الأنفاس لا يعول عليها" ووجود نصين لهما دلالة مشتركة في معاودة الاستئناف لا يعني اعتدال النص وتصحيحه بل يعني انه قد نما في ظرف آخر. وقد تكون السيرة هكذا "لكان إذا لم يؤنث لا يعول عليه" فهذه الشذرة تتضمن معنى فيه من الإحالات أكثر مما أبلغته اللغة في الشذرة الأخرى "لكان إذا لم يكن مكانة لا يعول عليه" وهذه ليست استبدالات، لأن النص الأول ينفتح على شيء يختلف عن الحكمة التي في النص الثاني، على كل حال، فمن الممكن تأجيل المعنى، ومن الممكن مباشرته في نصين لهما خصائص مشتركة ومستقلة.

إن سيرة النص التي قد تكون مرجعية ليست ملزمة للقراءة إذا اردنا أن نتلقى دلالات متحركة أو إذا اردنا أن لا نعيق المقارنة استقلال النصوص، وليس هذا النوع من المراجع الداخلية -ذات المعنى- هو الوحيد في تاريخ الشذرة، بل هناك عدد لا يستهان به من المراجع الخارجية في سائر تأليف "ابن عربي" وهي مراجع غير صامتة، من ذلك "كل جد لا ينتج همة فعالة لا يعول عليه" فعلينا معرفة شيء عن الرياضة والمجاهدة بالمعاني العامة وبالمعنى التصوفي، وهذا مرجع عام يفترض تأريخاً له في نصوص ليست لابن عربي ايضاً، كالأثر النبوي "كفى بالسلامة داء" أو في نصوص تعمل كالمراجع المقارنة: كقول حميد بن ثور: (وحسبك داء ان تصح وتسلما).

أو قول لبيد:

ودعوت ربي بالسلامة جاهداً

ليصحني فإذا السلامة داء

هذه الأقوال وغيرها لا تطابق النص المقصود ولا تعلقه، بل تؤيده هي ويخرج هو عليها في عدم تخصصه بالسلامة. وقد تكون هناك مراجع نصية تضيف معنى على مجموع النص، كالاحالة إلى مصطلح، أو اسم علم أو آية قرآنية.. الخ. الخ.

1- الشذرات من رسالة "لا يعول عليه" في مجموع رسائل ابن عربي

كويتزي الفائز ببائزة نوبل للآداب

لست مبشراً ولي تصوراتي الخاصة للحرية

ترجمة واعداد

محمد حبيب

نالت جائزة نوبل للآداب لعام 2003، التي تمنحها الأكاديمية السويدية، إلى الكاتب الجنوب افريقي جون ماكسويل كويتزي، وهو من مواليد عام 1940، بدأ حياته روائيا عام 1974، وحقق شهرة عالمية بعد روايته "بانتظار البرابرة" عام 1980، لقد منح كويتزي جائزة نوبل للآداب نظرا لمقدرته الفذة في كتابة قصص متعددة الظاهر تصور الانشغال الدهش للمراقب الخارجي، بمجريات الأحداث. تتمتع روايات كويتزي بتقنيات رفيعة، حوارات حبلى وتحليلات لماحة. لكنه، في الوقت نفسه، شكاك موسوس، ناقد لاذع للعقلانية القاسية والمذهب الأخلاقي الجمل للحضارة الغربية.

قال سكرتير الأكاديمية النرويجية الدائم هوراس انجدال في حيثيات القرار: "كنا مقتنعين جدا بالقيمة الدائمة لمساهمته في عالم الأدب. ولا أتكلم هنا عن عدد كتبه، بل عن تنوعها وقيمتها الأدبية الرفيعة. وأعتقد أنه كاتب... سيبقى مثار نقاش وتحليل، كما نعتقد بضرورة وضعه إلى موروثنا الأدبي".

جون ماكسويل كويتزي هو ثاني كاتب جنوب افريقي يمنح جائزة نوبل للآداب بعد الكاتبة نادين غورديمر عام 1991. وعرف كويتزي بتجنبه الدعاية والإعلان، حتى أنه لم يكلف نفسه عناء الذهاب إلى إكلترا لتسلم جائزتي البوكر اللتين منحتا له في عامي 1983 و 1999، علما أنه الكاتب الوحيد الذي فاز بهذه الجائزة مرتين. يقول كويتزي: "أنا لست مبشرا أو أي شيء آخر. أنا شخص لديه تصورات خاصة للحرية (كأي سجين مغلول اليدين)، وأقدم مشاهد عن أناس يحررون أيديهم من تلك الأغلال، ويديرون لها ظهورهم، وينطلقون نحو النور". ويعتبر كويتزي واحدا من أكثر المؤلفين الأفريقيين نجاحا. فقد كتب ثماني روايات وعددا كبيرا من المقالات والبيانات التي شملت كل شيء، من لعبة الركبي إلى الرقابة على المطبوعات. وهو حائز على دكتوراه في توليد اللغة الكومبيوترية، كما عمل مبرمجا كومبيوتريا في بريطانيا قبل أن يدرس اللغة في تكساس.

تتميز أعمال كويتزي بغنى هائل، فهو لا يعتمد الوصفة نفسها في كتابين. وتكشف القراءة الدقيقة لروايته عن أسلوب متكرر، وهو رحلات الغوص النفسي الذي يعتبره ضروريا لخلاص شخصياته. وقد كتب آدم مارس "جونز في الأوبزيرفر" عندما يدير المؤلف النوسيتي الرفيعة لأحداث مسرحية ببرفة قاتلة أو كسرا، أو يعيد توزيع موسيقا فيلم كسيمفونية، لا أحد يبالي بما فعل. لكن الأمر يختلف عندما يقدم روائي ما للقراء رواية ببطل مبتكر، وفي كتاب يبدو كسلسلة مقالات أو محاضرات أكثر منه عملا أدبيا، كما فعل كويتزي في روايته "إيزابيل كونستيلو" حيث يشابك فيها الخطوط أكثر مما فعل غريغ أو ويليام فوغان. وللرواية عنوان فرعي ثمانية دروس. ويمكن تصنيفها ضمن الأعمال "غير الأدبية".

عمر الخيام في رباعياته

شكلت الطبعات المتوالية لترجمة رباعيات الخيام، منذ الستينيات في القرن التاسع عشر، انقلاباً واضحاً في الثقافة الأوربية والعالمية، وتجاوزت تأثيراتها الحياة الثقافية إلى الحياة الاجتماعية العامة، وانتقلت من اللغة الانجليزية إلى اللغات الأخرى بشكل لم يسبق له مثيل، وقيل ان الأعداد الخيالية للنسخ المطبوعة تجاوزت كل نسخ الكتب الأكثر شهرة باستثناء الانجيل، وليس غريباً ان تترك تأثيراً على حركة التجديد في الشعر الأوربي عامة، وفي الشعر الانجليزي المكبل بالقيود الكلاسيكية وتقاليد العصر الفيكتوري، وفاضت شهرة الخيام لترفع اسم مترجم الرباعيات ادوارد فيتزجيرالد الى الصف الأول بين اعلام الأدب الانجليزي.

بندر عبد الحميد

الشاعر الحكيم شرقاً وملك الحكمة غرباً

تحديد عدد الرباعيات

يلخص د. محمد غنيمي هلال نتائج الدراسات التي تناولت مشكلة الرباعيات الضافة إلى رباعيات الخيام فيقول:

... ولكن يؤخذ من البحوث الكثيرة التي قام بها المتخصصون في مختلف اللغات الكبرى، وبناء على الرجوع إلى المخطوطات الكثيرة والمصادر التاريخية. ان ستا وستين رباعية هي من كلام الخيام على سبيل القطع، وبناء على خصائص اسلوبها يمكن ان نلحق بها مائة وثمان عشرة رباعية اخرى على سبيل الاحتمال لا اليقين، فيكون مجموع الرباعيات الصحيحة يقينا واحتمالا مائة وثماني وسبعين، بدلا مما يعزى إليه من رباعيات كثيرة منحولة تبلغ مئات، بل انها في بعض المخطوطات تتجاوز الألف.

صورة شرقية للخيام

لقي الخيام اهتماما بأعماله في مجال الرياضيات والفلك لدى الدارسين القدامى، الفرس والعرب وتجاهلا أو هجوما على رباعياته واتهامات بالزندقة من المتعصبين المتزمتين، فوصفه البزاري في كتابه (مرصاد العباد) بأنه (الدهري الذي انه في ميدان الضلال) كما يذكر محمد غنيمي هلال، وان المقفطي في (اخبار الحكماء) قال بأن بعض متأخري الصوفية نقلوا ظواهر شعره إلى طريقتهم وناقشوا هذا الشعر فاعتبروه أقاصي سامة، وعندما استنكروه وتأليوا عليه خاف على دمه واسمك من عدان لسانه وقلمه وذهب إلى الحج..

أما الباحثون المحدثون في الأدب الايراني فلهم مواقف غريبة ومختلفة من عمر الخيام، فبعضهم يعتبره رجل علم وتقى لا علاقة له بالرباعيات المنسوبة إليه، لما فيها من أفكار حرة ودعوة إلى الحياة بكل وجوهها الشرقة، وينكرون انه كعالم يمكن ان يقول شعرا في الغزليات والخمريات والتأمل في حال الوجود واسئلة الحياة والموت، مع ان هذه الموضوعات هي الأغراض الأساسية لأهم اعلام الشعر الفارسي من الذين سبقوا عمر الخيام أو عاصروه أو جاؤوا بعده ومنهم: رودكي، رابعة القزدارية، فرخي السيستاني، عسجدي، قطران التبريزي، معزي النيسابوري، أنوري، حافظ الشيرازي، ومن قبلهم ابو نواس الذي كتب شعره بالعربية.

إن شعر الرباعيات كان مألوفا في الشعر الفارسي وقيل ان اول من كتب الرباعيات الفارسية هي الشاعرة (محاسي) كما كتبها أبو سعيد بن ابي الخير الذي توفي في فترة ولادة الخيام، ثم شاع هذا النوع من الشعر الكثف بين كبار الشعراء في مابعد.

لوركا يكتشف (الشرقي الرائع..)

تتركز اهتمامات المستعرب الأسباني خوسيه ميغيل بويرتا حول (تاريخ الفكر الجمالي العربي) وهو عنوان بحث مطول وفريد، صدر في مدريد في اكثر من تسعمائة صفحة، وفي الذكرى المئوية لميلاد لوركا (1998) ترجم إلى العربية مقالة كانت مغمورة حول عمر الخيام، وكتب خوسيه ميغيل مقالة اعطائي نسخة منها عن التأثيرات المبكرة لرباعيات الخيام على شعر لوركا وهي غير منشورة باللغة العربية جاء فيها:

(لاشك ان قراءة رباعيات الخيام تركت تأثيرا هاما في تكوين فضاء لوركا الشخصي والأدبي، وبالاضافة إلى المقال الرقيق الذي نشره بعنوان "تعليقات حول عمر الخيام في مجلة آداب- يوم 1917/10/17 حين كان مؤلفنا يصدر هذه المجلة مع فئة من الاصدقاء في غرناطة وهو ما يزال في التاسعة عشرة من عمره نجد إشارات اخرى الى الشاعر والعلامة النيسابوري خليقة بالذكر مبعثرة في قصائده ومحاضرات مختلفة تنتمي عموما إلى بداية مشوار لوركا الأدبي، واهم دليل على ذلك هو ان لوركا ارتمى في روض الشاعر الشرقي الكبير منذ الأبيات الأولى لما تعتبر اول قصيدة خطها لوركا في حياته، وهي "اغنية، حلم والتباس" المؤرخة في 1917/6/29

والسبب الأول في هذه (العجزة) هو ما تحمله هذه الرباعيات من حكمة ودعوة إلى ممارسة الحياة بفرح وشجاعة وثقة واطمئنان، ولهذا اقبل على قراءتها حتى اولئك الذين لا تربطهم بالقراءة اية علاقة. وإذا كان الخيام قد اخذ لقب الحكيم في الثقافتين الفارسية والعربية فإن الأوربيين اعطوه لقب (ملك الحكمة) واختطف الأضواء من شكسبير لفترة طويلة، ولكن إعادة اكتشافه في الثقافتين الفارسية والعربية، اللتين ينتمي إليهما، تأخرت اكثر من نصف قرن على اكتشافه في أوربا والعالم، وعسى أن يكون نصف القرن هذا هو الفرق الزمني الحضاري بين الغرب والشرق وليس اكثر.

قبل اكتشاف الرباعيات

ظلت رباعيات الخيام موزعة في المخطوطات المختلفة في الشرق والغرب، وجاء الاختلاف كالعادة من سوء نوايا المنسخين أو تعصبهم، حيث يضيفون أو يحذفون ما يريدون، ولكن العدد الذي وصل من هذه الرباعيات إلى الغربيين كان كافيا لإدهاشهم، وكانت صلة الباحثين والواغين والقراء الغربيين قد بدأت منذ دخول العرب إلى الأندلس، حيث كانت الموشحات وقصص الحب العربية ذات اثر واضح على الشعر الاسباني والفرنسي، وفي بداية القرن الثامن عشر نقل انطوان غالان مختارات مكثفة من الف ليلة وليلة إلى الفرنسية، ثم ترجمت إلى اللغات الأوربية الأخرى وتركت اثارها في أعمال فولتير وغوته وعدد كبير من الأدباء الأوربيين، كما ظهرت تأثيرات ترجمة اشعار حافظ الشيرازي والعلقات السبع العربية في اعمال غوته وفي شكل خاص (الديوان الشرقي للمؤلف الغربي)، ولم تنته حكايات شهرزاد حتى اليوم في المؤلفات والأعمال الإبداعية الغربية.

فيتز جيرالد والخيام

اعتبر بعض النقاد ان ادوارد فيتزجيرالد (1809-1883) من اهم الشعراء الانجليز في القرن التاسع عشر، ليس لأنه كتب شعرا وانما لأنه ترجم رباعيات الخيام بلغة شعرية عالية، توازي اللغة الشعرية في الشعر الكلاسيكي الانجليزي في العصر الفيكتوري وما قبله. كان فيتزجيرالد تخرج من جامعة كامبرج، وجمعته علاقة صداقة مع الشاعر الانجليزي لورد تنيسون والمؤرخ الفيلسوف توماس كارليل. نشر فيتزجيرالد اعمالاً متفرقة، منها ست مسرحيات للكاتب الاسباني كالديرون قبل ان يتجه إلى الدراسات الشرقية، ويترجم مجموعة من رباعيات الخيام وينشرها دون ذكر اسم المترجم، في عام 1859، وظلت هذه الرباعيات مهملة، تباع بسعر زهيد، لدى الناشر الفندي كارتش، لا تثير انتباه احد حتى اكتشفها الشاعران دانتي جابريل روزيتي وصديقه الجرينون سوينبورن، وثريا ما تبقى من النسخ لتقديمها كهديا إلى الاصدقاء، وكان ذلك في عام 1860 وهو العام الذي شهد نشر كتاب (اصل الأنواع) لداروين، وبداية انفتاح على الأفكار الجديدة والثقافات الأخرى في بريطانيا، وكان للدعاية التي بثها روزيتي وسوينبورن اثر سريع وواضح على اهتمام القراء بالرباعيات وتوالي طبعاتها الناجحة مع مقدمة موسعة للمترجم عن عمر الخيام وحياته وعصره، وهو العصر الذي يهتم الأوربيون بدراسته لأنه ارتبط بالحروب الصليبية في الشرق، وكان توماس هايد استاذ اللغات الشرقية في جامعة اكسفورد قد ترجم الرباعيات إلى الانجليزية قبل فيتزجيرالد، ولكن ترجمته لم تثر اهتمام عامة الناس. نشر فيتز جيرالد ترجمته بأسلوبين مختلفين، احدهما كان الترجمة النثرية الحرفية التي التزمت بالمضمون الدقيق للنص وافكاره وصوره، والثاني كان الترجمة الشعرية التي ترصد المضمون وتضعه في قالب الشعر الانجليزي الكلاسيكي المألوف الذي يميل إلى الفخامة والبلاغة والغنائية العالية، ويمكن للقارئ ان يختار من هذين النصين ما يريد، لأن لضرورة الشعر كما يقولون، وكان عدد الرباعيات في ترجمة فيتزجيرالد مائة وخمس رباعيات.

الرباعيات في العربية

إذا كان الأوربيون قد اكتشفوا رباعيات عمر الخيام في منتصف القرن التاسع عشر، فإن اكتشاف هذه الرباعيات عربياً تأخر إلى بداية العقد الثاني من القرن العشرين حينما نقلها إلى العربية، بتصرف، وديع البستاني، على شكل سباعيات من اللغة الانجليزية، عن فيتزجيرالد وابتعد بها عن الأصل ومنذ ذلك الحين شهدت الرباعيات عشر ترجمات إلى اللغة العربية منقولة عن اللغتين الانجليزية والفارسية.

واجمع النقاد والقراء على اهمية الترجمة الشعرية لأحمد الصافي النجفي، وترجمة احمد رامي التي نشرت بشكل واسع بعد ان غنت ام كلثوم مختارات منها، من تلحين رياض السنباطي، وكان احمد رامي قد درس اللغة الفارسية في باريس في نهاية العشرينيات من القرن العشرين.

اما ترجمة عبد الحق فاضل فقد رافقتها دراسة موسعة عن الخيام مع مقارنة بين الخيام والمعري، تتحرى نقاط الالتقاء والاختلاف بينهما، ويبرز الالتقاء في طرح الاسئلة الجريئة التأملة الحائرة عن الحياة وسر الوجود، بينما يظهر الخلاف واضحا في زهد ابي العلاء وانصرافه عن اللذات التي يدعو الخيام إلى استنزافها طولا وعرضا، ومع هذه الاختلافات فإن ما يجمع بينهما هو الحكمة والذكاء المتوقد.

وبين الترجمات الشعرية العربية تبدو ترجمة احمد زكي أبو شادي للرباعيات سلسة وموفقة في توصيل المعاني، ولكن الترجمات الشعرية عموما تعاني من الحشو وتبديل الألفاظ المناسبة بألفاظ غير مناسبة، حسب حاجة الوزن والقافية.

وضمت ترجمة (أبو شادي) مقدمتين، واحدة للمترجم، وأخرى للأديب روكس بن زائد العزيزي يقارن فيها بين الخيام والمعري ايضا، ويؤكد ان عدم زواجهما كان له تأثير خاص في شعرهما..

وتبدو ترجمة د. محمد غنيمي هلال لثلاث وعشرين رباعية مختارة، عن اللغة الفارسية في كتابه (مختارات من الشعر الفارسي- عن الدار القومية للطباعة والنشر- القاهرة 1965) هي الأقرب والأكثر دقة والتزاما بالأصل، وساعده في ذلك انه ترجمها نثرا أحرا ليس فيه حشو أو تحوير في المعنى أو الصورة الشعرية.